العرب في اسرائيل ينتظرون القذيفة كأنها هدية جاءت بعد سنوات انتظار!:

يا أدباء حيفا المقصوفة والجليل ماذا تفعلون الان؟

جانب من مظاهرة في حيفا تدعو لوقف العدوان الاسرائيلي على لبنان

حيفا ـ «القدس العربي» ـ من زياد خداش:

في حيفا التي تقصف الان ثمة ادباء يعيشون معرضين للموت في اية لحظة، محاصرين في البيوت، البيوت التي مكتباتها ساكتة فلا وقت للكتب والاحلام والعوالم الافتراضية هناك عالم واحد الان هو عالم الموت السريع المهمة الان: كيفية النجاة من هذا الموت المتجول، السؤال الان هو كيف يمكن اقناع الصاروخ العربي الغاضب بان ثمة عربا هنا، فلتذهب الى الجهات الاخرى ايها الصاروخ فنحن نحبك. في حيفا الجميلة، ثمة شعر يكتب وقصص ولوحات ترسم، ثمة سينما ومسرح، ثمة عشاق وحب وبحر مجنون، ولكن ثمة موتا ضريرا قد يهجم فجأة، فيذهب كل شيء: البنايات والطرق والمدارس والحدائق، اما الفنون فلا مجال لذهابها، هزمتك يا موت الفنون جميعها،

الميناء مهجور، البحر منحسر، والجبل ساكت، من كان يتصور ان حيفا يمكن ان تسكت عن الشغب، مدينة الحب تحولت فجأة الى مدينة اشباح، لا يمشي في طرقها سوى الصمت والموت والخوف، المفارقة كانت هي سيدة احساسي وانا أباشر اتصالاتي مع ادباء حيفا وشعرائها، قلت لاسامة مصري وحنا ابو حنا وهشام نفاع وسهيل كيوان ومنى ظاهر وسليم ابو جبل وسلمان ناطور وسناء لهب: وهم الاشخاص الذين نجحنا في الامساك بخطوطهم الخلوية: ان دورنا الان نحن سكان الضفة الغربية قد جاء لنطمئن عليكم ونتأكد انكم على قيد الفنون.

ان كنتم انتم تطمئنون علينا ايام الحصار والقصف، على مدننا وقرانا ومخيماتنا، ضحك ادباء حيفا، تلك الضحكة البحرية الصاخبة التي تتحدى الموت وتتمسك بالحياة، قلت في نفسي: انه الوطن الواحد والهم الواحد والألم الواحد.

حاولت ان اتصل بعشرات من الكتاب والشعراء والمسرحيين والسينمائيين، كانت الهواتف الخلوية اما مغلقة او لا ترن دون ان يجيب احد، فكنت اتوقع ان ادباء حيفا لا يكترثون في هذه اللحظات العصيبة الا الى تفادي الموت العشوائي، الذين نجحنا في الامساك بهم، سألناهم سؤالا واحدا: ماذا تقول في هذا الوقت العصيب، قل أي شيء، اهذي اشتم، ابك اضحك ارقص أي شيء، أي شيء، هنا هواجس ادباء حيفا:

الشاعر حنا ابو حنا: آن لزمان الضفادع ان يولي

■ ما الذي تستطيع أن تفعله في هذا الظرف.

هذا هو السؤال الذي يطوقك ويسد السبل أمامك.

قلت في إحدى قصائدي:

«هل أدهي من حال اللاحول
إذا قُطِعَتْ أيدي الحقّ
ولم تملَك في ويلك إلا الآه..!

لا يمكن أن تخرس وتتمزّق. إلى الناصرة إذن للمشاركة في مظاهرة الاحتجاج على هذه الحرب المؤامرة. حكومة تحتج على اختطاف جندي هنا وجندين هناك.

هذه الحكومة تخطف وزراء واعضاء برلمان انتخبوا في انتخابات دمقراطية بإشراف دولي. وحكومات قبلها تسللت إلى لبنان واختطفت قوما عذبتهم في سجونها!!

يحق للقوي أن يخطف أما إذا تجرأ «الآخر» على ذلك فإنه يغيّر قواعد «اللعبة»!

يكسر ذراع «الردّع»!!

إذا أطلقت صاروخا بدائيا فأنت إرهابي أما إذا امتلكت الطائرات البالغة في الأحكام والقنابل الحمقاء والذكية ودمّرت وقتلت بالمئات فأنت صاحب الحق.

تُشرِعُ الوردة شوكاً للدفاع
فتقاضيها الشريعةْ
والدم الخاضب أنياب الضباع
سمَةُ الشّاة الوديعةْ

ايها الناس إنكم تُذبحون على مذبح «الشرق الأوسط الجديد». أمريكا تعارض في إيقاف القتال قبل تحقيق الانجازات المرسومة! نحن ندمّر وحلفاؤنا الأعزاء يدفعون تعويضات عن المباني والمرافق التي سوّيناها بالأرض. سريالية.! هذا هو «الشرق الأوسط الجديد». إلبسوا الكمّامات فالجو خانق.

عزيزي زياد:

ما كدت أضع سمّاعة التلفون بعد حديثك حتى انطلق الزاعوق مذعورا زاعقا. (أفضل هذه التسمية ـ الزاّعوق ـ على «صفارة الأنذار»، مع أن الزاعوق في قريتي يعني: الوابل الشديد من المطر).

بيتي على سفح جبل الكرمل مواجه لرأس الناقورة ولذلك فإن الخطر وارد. كثيرون اتصلوا يستضيفوننا لنبتعد عن موقع الخطر لكننا نأبى الهرب. الصاروخ الأول الذي أصاب حيفا سقط على بعد بعض مئات الأمتار ـ هوائيا ـ عن بيتنا. لذلك يحملنا الزاعوق إلى خارج البيت في هذه العمارة الكبيرة إلى موقع أكثر أمانا. عادةً ينتهي الزعيق بعد أقل من دقيقتين لكن في هذه المرة ما كادت «الوجبة» تسكت حتى عادت تجأر. «وجبة» ثانية.

نعود إلى الشرفة نستطلع مواقع دخان. أمس أصاب صاروخ بيت رجل كان قد شارك في اليوم السابق في مظاهرة استنكار للحرب في تل أبيب. في البيت المدمّر، سأل المذيع صاحب البيت:

«والآن ماذا تقول؟.

أجاب الرجل: «أذهب إلى مظاهرة للأحتجاج بمزيد من العزم».

ما كادت تنقضي عشر دقائق حتى انطلق الزاعوق مرة أخرى. نركض إلى «الملاذ» حتى يصمت هذا الذأعر.

سمعنا أصداء أكثر من دويّ. نعود إلى الشرفة نستطلع الآثار. نعود إلى التلفزيون نسافر بين المحطات.

الآن أدرك حقيقة معنى اسم قناة «الجزيرة» فهي الملاذ الاعلامي في هذا الأوقيانوس الملوّث المضطرب.

كيف نقضي الوقت؟

لا تستطيع أن تقرأ أو تكتب بهدوء. عين على التلفزيون وأذن ترصد الزاعوق.

تصل بعض الرسائل الجارحة في البريد الألكتروني: صور ضحايا القصف الأسرائيلي ـ جثث ممزقة، أطفال مشلّخون وأطفال اسرائيليون يكتبون «رسائل» على القنابل التي تكاد توازيهم في الطول يبعثون بها إلى الأطفال الضحايا!!

ونقرأ الافتتاحية اليتيمة لمجلة «الآداب»: «يا حرام لبنان» فترفع يديك مع سماح إدريس نحو السماء ولا يمتلىء الفم بالماء!فقد آن لزمان الضفادع أن يولّي.

الكاتب سليم ابو جبل: جهاز التحكم بين الخوف والتأييد

■ قال لي أحد الأصدقاء مازحاً أن عائلته العربية التي تركت حيفا إلى القدس هرباً من القصف القادم من جنوب لبنان، لا تعرف من تتهم بتهجيرها الثاني بعد التهجير الذي تعرضت له في عام 1948؛ حزب الله أم إسرائيل؟

في الأيام الأخيرة أراد الإعلام الإسرائيلي إجابة فورية على سؤال سريع؛ هل أنتم مع إسرائيل أم مع حزب الله؟ السؤال الموجه للعرب الفلسطينيين الذين يسكنون في إسرائيل جاء بعد إصابة قذيفة لطفلين في مدينة الناصرة. وحين رفض والد الطفلين استنكار قصف حزب الله لشمال إسرائيل وقتل ولديه، وجد الإعلام الإسرائيلي في العرب العدو الذي بحث عنه منذ بداية أيام الحرب الجديدة على لبنان.

ليست هذه مشكلتنا، فحين تتحدث المؤسسة الإسرائيلية بلسان وسائل الإعلام عن العرب على أنهم موالون لحزب الله أكثر مما هم موالون لإسرائيل، فإنها تلمح إلى أن العرب يؤيدون عدو أسرائيل. لكن حقيقة الأمر هي أن العرب الفلسطينيين في إسرائيل هم أعداء إسرائيل أيضًا، برغبة إسرائيلية شديدة، وممارسة عنصرية على أرض الواقع.

يسيطر الفرح أكثر من الخوف على العرب الفلسطينيين في حيفا لحظة تساقط القذائف. حين سأل مراسل أجنبي أحدهم لماذا لا تختبئ من القذائف أجاب بأنه لم يقم بعمل سيئ تجاه أحد، أولئك الذين يشعرون في قرارة أنفسهم بذلك يسارعون إلى الاختباء. من الواضح أن التماثل مع حزب الله هو الأمر البديهي، الأمر الذي لا تريد أن تفهمه إسرائيل، ففي الوقت الذي ينزل فيه اليهود إلى الملاجئ، فإن العرب يخرجون ليشاهدوا القذيفة القادمة، وكأنها هدية جاءت بعد سنوات الانتظار الطويلة، سنوات طويلة لم تُقهر فيها إسرائيل، ولم يجرب فيها اليهود الخوف لمرة واحدة.

يقودني جهاز التحكم بالمحطات التفزيونية إلى إزدواجية الشعور بين اقتراب الخطر من القذائف الساقطة على حيفا، وبين تأييد حزب الله في محاولاته لقهر الآلة العسكرية الإسرائيلية. فأقسّم وقتي في متابعة أخبار الحرب بين المحطات الفضائية العربية والقنوات الإسرائيلية، أتقلب من محطة لأخرى بين مشاهد الأضرار الناتجة عن سقوط قذيفة على مبنى البريد القريب من بيتي، وبين مشاهد القتل والدمار في بيروت والجنوب اللبناني، وأخبار صمود مقاتلي حزب الله في وجه الدبابات والقاذفات الإسرائيلية، وأنشغل بين هذا وذاك بمواقع الانترنيت واستقبال رسائل البريد الإلكتروني وإرسالها. أمشي بحذر بين اللغتين ووسائل الإعلام من الجهتين.

هكذا أنصب نفسي حكماً محايداً بين جهتي الحرب، وأجزم بعد ساعات من ذلك أن احتمال مقتل عرب نتيجة سقوط قذائف حزب الله، فريضة واجبة الدفع في الحرب على إسرائيل، وبأن إرهاب الدولة التي تمارسه إسرائيل لا تفوقه وحشية سوى اصطفاف وسائل الإعلام الإسرائيلية في دولة تدعي الدموقراطية، فتذوب السلطة الرابعة في أحذية العسكر، كما في أي نظام شمولي آخر.

أقول لأحد جيراني اليهود إن حزب الله لا يريد قتل اليهود بقدر ما يريد إخافتهم وإجبارهم على النزول إلى الملاجئ وإحداث الشلل في الاقتصاد والحياة في إسرائيل، فيجيبني أن نصرالله رجل شرير يريد القتل لهدف القتل. لا حياة لمن تنادي، ففي دولة الجيش هذه لا يتحدثون إلا بلغة القتل، وما لا يحدث بالقوة، يحدث بالمزيد من القوة. فالجيش الذي أسس دولة، ما زال يتقدم إلى الحرب بكل شراهة، يقتل ويدمر بلا رحمة، ويسميها حرباً عادلة!

بعد أن مارست في الأيام الأخيرة رياضة الاختباء من القذائف الصاروخية، فأخرج من غرفتي المليئة بأصوات الحرب عبر المذياع والتلفزيون والانترنيت والجرائد إلى مكان أكثر أمناً؛ أعرفت أخيراً أن القذيفة لن تصيب بيتي القابع في الطابق الأول من العمارة، فالقذيفة التي تسقط عامودياً، عليها أن تخترق طبقات العمارة كلها قبل الوصول إلى بيتي، وهذا ما لن يحدث. ذهبت بقايا الخوف ولم أعد اشعر بها، لم أعد أشعر إلا بالمزيد من التأييد لقهر إسرائيل، ولم أعد أشعر إلا بمزيد من الرغبة بأن يرتعد يهود دولة العسكر رعباً.

الشاعرة ليلى الصفدي: ثلاثة اسئلة. ثلاثة انكسارات

■ بلال على غير عادته يدخل مسرعا هذه المرة، لا ليشاهد قناة ديزني المخصصة للأطفال بل ليشاهد الأخبار، «أمي يقولون أنهم يقصفون قريبا من عين قنيا!!!».

بلال على غير عادته جلس واجما هذا الصباح، ما خاله دمية كانت طفلة يحملها رجل أمام الكاميرات، هو بعد لا يعرف كيف تبدو أجساد الأطفال عندما تغادرها الروح، هو سمع عن الموت.. لكنه لم يره بعد، ربما كان يظنه أكثر هيبة واحتراماً، ولأن التلفاز كان هذه الأيام ساحة معركتنا، احترم مشاعرنا وقرر الهرب للعب خارجاً، لكنه كان يعود كل مرة ليسأل سؤالاً له علاقة بلبنان: «أين تقع لبنان؟»

اللعبة لم تكتمل والأولاد في الخارج ينتظرون، يخرج ويعود: «أمي هل نانسي ما زالت في لبنان؟».

الكلب في الخارج جائع.. بلال سيطعمه، خرج وعاد: «أمي هل لدينا شيء للأكل؟، هل انتهى القصف؟».

النهار انتهى وانتهى وقت اللعب، بلال يشاهد الأخبار وينهال علي بالأسئلة:

«أمي هل انت متأكدة أنّ لبنان خلف الجبل؟»

«أين يختبئون؟»

«الى أين سيهربون؟»

أنا احضر العشاء وأجيب كعادتي باستطراد، ربما إجاباتي الموسعة أعطت لبلال الضوء الأخضر ليكمل:

– «أمي لماذا نحن فقط نموت؟»

– «أمي أليس لدينا دبابات لنرد عليهم؟»

– «أمي ألا يراهم الله؟»

ثلاثة أسئلة.... ثلاثة انكسارات....

أنا على غير عادتي.. أتجاهل الإجابة، للسؤالين الأول والثاني.. أقدم له فنجان شاي بارد.

وللإجابة عن السؤال الثالث أقول: اذهب لجدك وأسأله.

القاص هشام نفاع: حيفا اليوم غريبة

■ البائع اليهودي الذي تربطني به علاقات يومية طيبة كان معبّأ بالبارود في أول أيام حرب اسرائيل الجديدة على لبنان. وهو ما أشعل بيننا نقاشاً صاخباً، انتهى بالاتفاق على اننا سنتحدث بعد أسبوع. لم نتناقش حتى مرّ أسبوع ونيّف، دخلت عليه وسألته، فقال: آن الأوان للتوقّف. شيء ما يخفت في الغرائز. بالضبط كما بدأ صوت جنرالات إسرائيل يخفت كلما اتّضحت لهم استحالة مغامرتهم القاتلة. وكلما انفتحت عيون العالم، هذه الناعسة دوماً، على حجم القتل والدمار الذي صنعته آلة الحرب الاسرائيلية الوحشية على طول لبنان وعرضه.

في حيفا بتُّ أنتظر مكالمة والدتي من الشمال، أو أبادرها بالاتصال، كلما زعقت صافرة الانذار السابقة للقصف الصاروخي. صوت أمي يتآلف من قلق وحزن وانتظار. ككل الأمهات في الحروب كما أتصوّر. أمي غاضبة أيضاً وتسبّ اسرائيل وأمريكا والعرب.

مكالمات الاطمئنان تتوالى داخل المدينة. بضع كلمات لا تخلو من السخرية المرّة، على خلفية يؤلفها قلق حقيقي. وكلها تنتهي باستعراض سريع لما يجري، وغالبًا بشتيمة منتقاة لجنرالات الغطرسة.

حيفا اليوم غريبة، خالية، باهتة. قبل يومين هاتفت والدة صديق من حي وادي النسناس كان سافر منذ سنوات للخارج، وكانت تبكي. وقع صاروخ على مقربة من شارعها. كم حزنت. كم غضبت. أمشي أحياناً في بعض شوارع المدينة مساء، فأرى أن الشبابيك المعتمة تفوق تلك المضاءة. حين نجلس ليلا في مقهى عبد أو الياس، الوحيدين المفتوحين تقريباً في مركز المدينة، ألاحظ كم أن الوجوه حزينة ومتوترة رغم محاولات الضحك. حين يتحدث الواحد عماّ وقع له، يسخر. ربما لأنه يعجز عن المواجهة القاسية مع شعور خفيّ بأنه يتفهّم قصف مدينته. هل يوجد أقسى من «التفهّم السياسي» لمأساة مدينتك.. لقصف حيفا. بل أية مدينة في العالم؟!

أما حين يذكّر أحدهم بمشاهد الجنوب وبيروت فينضم حزن كبير إلينا. وحين سمعنا عن مقتل الطفلين الشقيقين من الناصرة، لم يكن لدينا سوى شعور عميق بالحرج. فصمتنا.

ألتقي أحياناً قلة من الأصدقاء الراديكاليين اليهود. شعورهم ثقيل، بعضهم يواظب على المظاهرات التي بدأت تزداد. في البداية شعرت باليأس حتى من هذه الاحتجاجات وأثرها. اليوم، خاصة بعد أن تظاهرنا في تل أبيب، أشعر أن الأمور تتغيّر.

خلال الساعات الطويلة في البيوت، تقتنص متابعة الأخبار معظم الوقت. من الصعب التركيز في قراءة أو دراسة أو كتابة. بالكاد أنجح في العمل لبضع ساعات في الترجمة. أتبادل كل مقالة تبعث بعض الأمل مع حلقة من الأصدقاء. ليلة الأحد، قضيتها وحدي، كتبت لهم رسالة يائسة. في الصباح تلقيت مقالا مشجّعاً من أحدهم. وتذكير بمقولة التحرّريين الإسبان: «هذا لن يمرّ».

كل الكتب التي كنت قطعت عدداً من صفحاتها صارت مؤجلة الى ما بعد الحرب. حاولت أمس العمل على نصّ أدبي يرافقني منذ أشهر، لكني لم أفلح. في الصباح لم أنجح سوى في قراءة بعض نصوص لبرتولد بريخت. وتركت الكتاب حين أصغيت للجنرال حالوتس يتحدث عن حرية ما يقوم به الجيش، راميًا عرض الحائط بمصير أطفال شعبه والشعوب الأخرى. عدت للحاسوب وحاولت إكمال مقال بالعبرية أكتبه منذ يومين، فلم أنجح. ماذا سأقول، ولن الآن، فالثمل يشلّ الأدمغة، رغم وجود بوادر ضئيلة بطيئة لليقظة.

صديقة من القدس تتصل وتقول إنها يائسة، أحاول إقناعها بترك هذا الترف الآن. أفطن بحالي اليائسة أمس، ولا أصارحها بذلك. تستغرب مرة أخرى لماذا لا أغادر حيفا، فأتنصّل. أفطن بإميل حبيبي «باق في حيفا» وأبتسم بسخرية مرّة من نفسي ومنّ استحالة الوضع. فالبقاء كان مطلوباً أمس وهو كذلك اليوم بسبب نفس حكّام هذه الدولة. مرة حين أرادوا لنا التهجير، فكان البقاء أمضى الأسلحة، والآن حين استقدموا الصواريخ الشقيقة علينا في المدن والقرى التي يحكمونها. كم أمقت عجرفتهم. هذه التي تتفجّر نتائجها في وجوههم الباردة ببطء. الناعسة دوماً، على حجم القتل والدمار الذي صنعته آلة الحرب الاسرائيلية الوحشية على طول لبنان وعرضه.

قبل قليل تلقيت عريضة جديدة عبر البريد الالكتروني ضد العدوان. شعرت بالسّخف وأنا أوقعها بسبب دوري المتزايد في نضالات الواقع الافتراضي. لكني فطنت للمفارقة: حتى هذا الواقع الإفتراضي لا يزال يتفوق على الواقع العربي الفعلي. فهو على الأقل يسمح بإطلاق بعض الصرخات، مهما كانت خافتة ومتواضعة، ضد استمرار ذبح العرب من شريانهم اللبناني، فيما هم صامتون.

الكاتب سلمان ناطور: لا افعل شيئا

■ العزيز زياد: ارجو ان تعذرني لاني لم اكتب لك بالامس، وبدو اني اصبحت عاجزا عن اية كتابة، في الايام الاخيرة، انني لا افعل شيئا، لا اسافر لا اقرأ لا اكتب، فقط اشاهد الهمجية والتدمير، والنفاق واللغط العربي واشتم ولكني احاول ان احافظ على هدوئي، لا بد اني احزن واحزن، ولا اعرف متى سأفرغ ما عندي انا واثق انك ستعذرني، لانك لابد تعرف هذه الحالة، الا اذا كانت روح الشباب تعمل العكس، وانا يبدو اني فقدت هذه الروح.

الشاعرة منى ظاهر: جنازات ورد وسراب وبقايا كرامة. من هنا وهناك:

■ في زمن الحروب يضحي الإنسان المعجون بكومة المشاعر والغرائز، المجبول بروح وفكر ومُكْتَسَب.. يضحي الإنسان المقتول رقمًا لا غير.. عدًا مضافاً إلى أعداد سابقة وأخرى قادمة..

تقوم الحروب لمصالح ومآرب أساسها الاقتصاد والمصالح المادية.. لكن ما نحن فيه لا أفهمه.. طرف يقتل وآخَر يقاوم.. أليست المقاومة دفاعًا عن إنسان/ بيت/ أهل/ أرض/ عن وطن.. ما يحصل الآنَ هو حربٌ لا هدفَ منها سوى التدمير والقتل ثمّ القتل والقتل..

حقيقة تنتابني مشاعر متناقضة مليئة بالحزن، الاكتئاب، حتّى الشلل لكلّ ما يجري في أرض تتقاذف الميّتين والقتلى، في أرض غدت كومات من تراب وحجارة وأحمر قان.

قتلى هنا في فلسطين.. وقتلى في العراق.. وقتلى هناك في لبنان..

في اليوم التأمن للحرب: قالت لي صديقتي المتأجّجة كانت بالحياة والمغامرات والضّحكات– من هناك: أنا ما زلت على قيد الحياة.. لقد حُرِق بيتي وهربت منه.. هربنا منه في لحظتها.. ونحن في ثياب النّوم، أتدرين كان يجب أن أبقى فيه لأحترق وإياه..

صمتّ.. ثمّ قلت: سينتهي هذا الكابوس لنحتمل معًا..

قالت: نعم سنفعل..

هنا وزّعت الأمّ التّمر والفاكهة المجفّفة على روح فلذتي كبدها ربيع ومحمود عبد الرّحيم طلّوزة.. وقالت لنا نحن النّساء المحتشدات في بيتها الكائن في حيّ من أحياء النّاصرة العتيقة الصّامدة ببيوت حجريّة متواضعة جداً: حالي كحال كلّ الأمّهات اللاتي فقدن أبناءهنّ في الضفّة والقطاع وفي لبنان.. هدى هناك بقيت وحيدة دون أحد.. كانت مع رمل الشّاطئ ودموع البحر في غزّة.. وأنا هنا ما زلت أمًا.. سأكون كذلك من أجل أولادي الباقين.. شكراً للّه الّذي يحتفظ في جنّته هناك بهما.. «سآتي إليكما.. لكنّي لا أعلم متى؟ إنتظراني.. كلّنا سنأتي..»

في اليوم التّاسع للمجازر المترامية، ألتقط سمّاعة الهاتف وأنا في ناصرتي المكلومة بطفلين، لأسمع صوتاً قادماً من هناك، يعزّيني ويقول لي: إهتمّي بنفسك وكوني بخير مع عائلتك، نحن هنا صامدون.. لا تقلقي علينا، نحن معتادون على الحروب والدّمار والتّشرّد.. لتصمدوا مثلنا هناك..

قلت له: ما يجري لكم.. يجري لنا..

تواعدنا أنّ الإبداع سيخفّف من وطأة ما يجري.. أحقاً سيكون كذلك؟!

لم أتلق أيّة إجابة لتساؤلي.. سوى صورٍ إضافيّة ومشاهد دموعٍ وخراب..

في اليوم الثّاني عشر: تتحدّث امرأة ترتدي ملابس الحرب مع أخرى وتقول: مجانين هم هناك في الضفّة.. ألا يدرون أنّ أسلحتنا كثيرة وممتدّة.. فليبقوا صامتين في هدنة..

ثمّ نسمع عن طفل يولد.. يحملُ حجرَ مقاومة وينادي «سأبقى وعائلتي.. سنبقى على أرضي».

اليوم هو اليوم الثّالث عشر من دمار الإنسانيّة.. هو يومٌ يرافقه سكوت وإعلان مخزٍ.. تستمرّ أداة الحرب بلا هوادة لتقصف صديقةً عزيزٍ عليّ.. هي صحافيّة عاشقة للموسيقى.. تموت وتغدو رقماً آخر في سجلّ إحصائيّات لا متناه للآن.

أكتب هنا ولا أسمع في مكاني القابع في البلدة القديمة إلاّ أصوات طائرات تُقلع لإكمال المهمّات.. وتقتلع معها كلّ الورد وأحلام صغار تتفتّح..

إن آجلاً أم عاجلاً سيعود الحقّ لأصحابه في كلّ مكان.. فقط علينا أن نتشبّث بحقّنا ولنقاوم.. تراب أرضنا يعرفنا وسيبقى لنا ولو بعد حين.

الروائي سهيل كيوان: حيفا توأم بيروت

■ فجأة اقتحمتني الفكرة! ما رأيك أن نسهر الليلة في حيفا! ولكنك لا تحب حيفا رد صديقي! التفت ومضيت،الطريق في ليلة عادية تستغرق حوالي الساعة من قريتي مجد الكروم الى حيفا وفي احيان قد تستغرق أكثر من ساعة الإختناقات المرورية،حيفا مرغوبة ومطلوبة في النهار للعمل والكسب وفي الليل للترفيه! ولكن هذه المرة لم يستغرق الوصول اليها سوى نصف ساعة، الشوارع شبه خالية، وما شاهدناه من بشر هنا وهناك يقدر بالعشرات في مدينة عدد سكانها ربع مليون إنسان، مررنا بالهدار الى شارع الجبل الى المقاهي التي دعيت إليها مرات ومرات من أصدقاء وصديقات ولكنني لم ألب الدعوة،ها أنا ألبي دعوة حيفا الآن التي ذكرتني بإحدى قصص طاغور القصيرة عن تلك الراقصة التي يرغبها الجميع ولكنهم يهجرونها عند ضعفها ومرضها! بين عشرات المقاهي المغلقة مقهى واحد مفتوح، سبق وجلست فيه مرة واحدة، جلسنا في الباحة المشتعلة بأصناف شتى من الإضاءة المبهجة، موسيقى هادئة، كانت هناك طاولة واحدة مشغولة لعائلة عربية لاحظت أنها محتفلة بعيد ميلاد إحدى صغيراتها، تأخر النادل وكأنه يريد إبقاءنا أطول مدة ممكنة في المكان،من باب المقهى الذي جلست بإزائه رأيت على الجدار اللوحة ذات الألوان الباهتة جدا، في الجلسة الوحيدة السابقة قبل أشهر فكرت بالتدخل لدى صاحب المقهى بأن يغيّرها بلوحة أكثر بهجة أو وضوح في الألوان على الأقل ولكن واصلت صمتي هذه المرة أيضاً، بين فينة وأخرى يُسمع دوي قذيفة يأتي من البعيد،النادل علّق بأن هذه من هنا الى هناك، دار نقاش بيني وبين صديقي اذا كان بإمكان اسرائيل أن تقصف صور والجنوب وحتى بيروت من قبالة شواطئ حيفا، بدأنا نحسب المسافات بين حيفا وصور وبيروت وبجهل مطبق بأنواع الصواريخ او القذائف التي تطلق من هنا الى هناك، بين فينة وأخرى تمر سيارة شرطة، ليست السيارات التي نعرفها، سيارات شرطة من طراز جديد ضخمة ومغلقة يبدو أنها خصصت لمناسبة كهذه! موسيقى العزف المنفرد على العود تغيّرت، بدأت موسيقى القلب يعشق كل جميل لأم كلثوم التي يوحي لي إيقاعها العبقري بخطوات قافلة من الجمال في الصحراء ماضية الى الحج، وددت لو أن أطلب رفع الصوت قليلاً الا أن المحتفلين بعيد ميلاد صغيرتهم سبقوني وطلبوا تخفيض الصوت، كان المقطع قصيراً ثم انتقل الى «بعيد عنك حياتي عذاب»! حدثني صديقي عن صديقته التي تركته والتي تسترضيه بين فينة وأخرى بلقاء سريع كي لا تقطع الخيط الأخير بينهما،قال انها لم تخنه ولم تغدر به فقد اعلمته بوضوح بانتقالها الى رجل آخر. حدثني عن روعتها التي ما زال يعيش تحت تأثيرها وفجأة عملت صفارة الإنذار، قامت الأسرة الى داخل المقهى، النادل طلب أن ندخل على الأقل تحت السقف فكلها دقيقتان وتمر، وكأنما خجلنا من القيام، كنت شبه متأكد أنها صافرة فقط، حتى ولان سقط الصاروخ فمن غير المعقول ان يسقط هنا بالذات واذا سقط فهذا يعني انه قضاء وقدر لأنني جئت برجليّ وباختياري هذه الليلة الى حيفا، انتهت الصفارة التي بعثت قشعريرة في جلدي، لا أدري لماذا بدأت أحدث صديقي عن مشهد الهروب الجماعي للعرب من حيفا الذي كتبه غسان كنفاني في روايته عائد الى حيفا، الذعر الشديد الذي أدى بإحدى العائلات أن تترك ابنها (خلدون) في السرير لتتلقفه عائلة يهودية وتربّيه لتحوله الى يهودي ويصبح ضابطا في الجيش الإسرائيلي الذي صار اسمه (دوف)! هذه القصة الأخلاقية أقلقتني في حينه وذكرتها أمام والدي الذي كان في السادسة عشرة من عمره عام النكبة، وحينئذ صحح معلوماتي فقال «القصة ليست صحيحة أصلا، لم تترك أي عائلة طفلها في السرير للنجاة، الحقيقة أن هناك فتاة حملت حملا غير شرعي وتركت طفلها أمام مسجد (الجَرينة) وتم التقاط الرضيع من هناك، ولكن اليهود اختلقوا قصة العائلة العربية التي تركت طفلها في السرير فأنقذته العائلة اليهودية، انها الدعاية المتكررة، مثل قصة الطفل العراقي علي عباس الذي احرقت وأبيدت كل عائلته بينما قامت القوات البريطانية بانقاذه وارساله الى لندن للعلاج من الحروق!

وهي قصة جديدة تناقلتها وسائل الإعلام العبرية عن امرأة من جنوب لبنان قام جنود اسرئيل بإنقاذها معرضين أنفسهم للخطر ثم لنقلها الى رميام في حيفا! تصور جنود اسرائيل ينقذون امرأة لبنانية ولكن هذا لم ينجح للفت النظر عن الوحشية التي دمروا ويدمرون بها لبنان! ويبدو أن الكاتب غسان كنفاني أبدع في قصة الرضيع اللقيط وفعل بها ما فعل! لم أخش سقوط صاروخ على حيفا اثناء وجودي فيها، بل ربما في داخلي دغدغني مشاغبة المرور في التجربة التي قد تغيّر طريقة التفكير، ولكن أخشى ما خشيته أن يسقط صاروخ من العيار الثقيل على حي فقير مثل الحليصة أو وادي النسناس على اولئك العرب الذين تشبثوا ببيوتهم منذ عام النكبة ليس عنصرية ولا تمييزا بين دم ودم بل لأن الخسائر البشرية في بيوت الفقراء المهلهلة عادة ما تكون أضعاف الخسائر لدى الأغنياء التي فيها غرف أمان وملاجئ! حيفا التي دائما كنت تصيبني بصداع عند زيارتها لم تسببه لي هذا المساء، الناس نيام أو منعزلون في بيوتهم ينتظرون مرور يوم آخر من ايام لم يعرفوها ولم يعرفها آباؤهم منذ عام 48، قال صديقي نحن غير مستعجلين ما دام القصف قد يقع في مجد الكروم أو عكا أو كرمئيل أو حيفا فقلت و«ما بعد حيفا» وانفجرنا ضاحكين، وانتبهت أنها قهقهتنا الأولى منذ وصولنا قبل ساعتين الى هذه المدينة التي بدت لي هذه الليلة توأماً لبيروت أكثر مما هي مدينة معادية لها.

الفنان والكاتب اسامة مصري: البياض

■ البياض يا زياد، ارسل لك الفراغ والبياض، لاشيء عندي اقوله، فقط ارسل لك بالفاكس صفحة بيضاء.

الفنانة المسرحية سناء لهب: لعبة إيقاظ الموتى

■ في تلك الليلة الأولى لبدء الخليقة للكرامة العربية، كما توهمتها...تحولت السماء لمربعات مدهشة الاستدارة، والقمر مثلث كأكواز الصنوبر، والكون جديد كما لم يكن أبدا...

وعيوني تقطر دمعاً وفخراً لتحنو على أشواكي المجرحة..

وتهت بين صرخات آلامهم وآهاتي الشاهقة أملا... وتحول قلبي كبيراً كنملة والعالم صغيراً كنكبة، وأصبحت أنفاسي تلهث كطفل يرسم الحزن صرخته ويتوجه الغضب ملكة للفرح الذي لم نعرفه بعد...

لم يعد بوسعك ايها المحتل أن تعبث بجرحي الفلسطيني العربي الأزلي»!!!!!!!!!!

وأصبحت أشاركهم الملجأ نفسه، وأعيش نظراتهم الصهيونية المتكبرة خوفاً ورعبا...حتى أحرفي العربية التي أتنفسها.. تُعري ثقوب أرواحهم.. وتصفر فيها ريح العراء الباردة...

وأكتشف فجأة بأن قلبي ما زال قادراً على أن يرقص مشحوناً بلهفة الجرح للمعجزة...!!!

منذ أن كبر الوعي لدي كفلسطينية تعيش بين أطراف أنفاس أعدائها..وأنا ارغب في شيء بسيط وكبير كالمستحيل... وطن وكرامة..

وكانت اللحظة مدببة والدوي كان هائلاً وأكتشف أني اليوم وككل يوم، ومنذ دهور لا منطقية سأمضي نزفاً انتظر دونكيشوتاً طويلا وما زلت... وذاكرة جسدي كانت وما زالت تصرخ.....

«الوطن العربي وسادة محشوة بالكوابيس وبريش طيور كانت تحلق يوماً صوب الحرية»..

ودخلت في التوحد وبت لا اعتب على عدوي..وكيف لي ذلك؟؟ونحن ننتمي لأوطان لا تلبس ذاكرتها إلا في المناسبات بين نشرة وأخرى، وسرعان ما نخلعها عندما تطفئ الأضواء..

عدوي سلبني أرضي والقواد العرب سلبوني كرامتي!!!

وداعا أيتها الآمال الحبلى بالوعود.. والأحزان الولود، والأحلام المجهضة والأغاني النازفة بدم الذكريات قطرة قطرة..سطراً بعد سطر..حتى آخر السطر..

فما الفائدة أن تكون قادراً على كتابة أي شيء في هذا العالم، ولست قادراً على تغيير أي شيء فيه؟

ما الفائدة أن تمارس لعبة إيقاظ الموتى الملقبة.....كرامة عربية؟